

# ريجي دوبريه والحزب الثوري

بقلم طلعت همام

ويكتب « فليتوقف الحديث عن دوبريه ، الذي ما زال حيا حتى الآن ومعرضا للاتهامات ، وهو جالس على كرسي الاتهام ، اكثر من عاهرة من سينسينا وليكن الحديث عن ثوار بوليفيا وغيرهم ، عن اولئك الذين ماتوا في القتال او الذين ما زالوا على قيد الحياة يقاتلون على ارض فظيعة الصعوبة ، فليرو تاريخ عمال المناجم ، عن تعرضهم لامراض الرئة والمذابح . ان وضع افكار فيدل و « شي » موضع التنفيذ في خلق اكثر من فيتنام ، لانقاذ الفيتنام او القضاء نهائيا على ضياع الفيتنام ، لا يحتاج الى رجال خارقين ، بل يحتاج من كل منا كثيرا من نكران الذات ، والكفر بكل شيء وربما بالحياة ، والصمود والعناد ، ومعدة تتحمل البقاء خاوية لعدة اسابيع . . . عن هذا وعن هؤلاء يجب الكلام » .

وقد عرض دوبريه في دراساته الثلاث للعديد من القضايا الخاصة بالكفاح المسلح وقدم هذا الكفاح مرتبطا بالصراع ضد المفاهيم التمردية الخاطئة والمغامرات الفردية التي تتخذ سمة « الثورية » بينما لا تنتهي الا الى تشكيك الجماهير في القيم والمفاهيم الثورية الحقبة .

وطرح بدكاء قضية رفض الثورة الكوبية لمنهج « الانقلابات العسكرية » كشكل من اشكال تغيير السلطة ، وحدد الاسباب التي من أجلها يتحول الانقلاب المسلح الذي يطرح في البداية اشد الشعارات الثورية برقا ليصبح مجرد حكم أوتوقراطي عاجز حتى عن فتح الطريق للعمل الديمقراطي بشكله البورجوازي .

وتوصل في محاولته لتنظير الثورة اللاتينية ، الى نظرية « البؤر » التي نمت وازدهرت من خلال الثورة الكوبية ، وما حاولته هذه البؤر التي نمت وازدهرت من خلال الثورة الكوبية ، وما حاولته هذه البؤر المنطلقة من رؤية طبقية من دمج للعمل العسكري بالعمل السياسي أو بالأصح تسييس حركة النضال العسكري المسلح .

كما ناقش أسباب فشل التطبيقات الميكانيكية لنظرية البؤر خارج نطاق التجربة الكوبية ، ورصد عملية تطعيم الامبريالية الدائب لاجهزتها بكل مصطلح ثوري جديد ، ومحاولتها اكتساب المناعة ضده .

وانتهى الى اعتبار العمل النضالي انطلاقا من رؤية ثورية ، معيارا لثورية كل تنظيم يطلب أن يكون « طليعة » للجماهير .

بالاضافة الى كشفه لاثار السلبية التي طبعها النزاع الايديولوجي العنيف بين الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية ، على ثورات القارات الثلاث . والموقف

بخوض جيش الشعب الفيتنامي منذ سنوات، حربه الباسلة ضد الامبريالية الاميركية ، تحت قيادة حزب طليعي هو « حزب العمل الفيتنامي » .

كما ان كوبا قد خاضت حربها الثورية ضد الامبريالية ، ولكن بلا حزب ، فقد ظل الحزب كامنا بصورة جنينية في « التنظيم الثوري المسلح » الذي قاده فيديل كاسترو بنجاح في السيرا مايسترا ، ولم يلبث ان ظهر كحزب فور وصول الثوار الى السلطة ، والبدء في عملية التحويل الاشتراكي . فما هي حقيقة التجربة الكوبية ، وهل هو امر ضروري ان نخوض النضال ضد الامبريالية ، وان نبدأ في عملية التحويل الاشتراكي ، تحت قيادة حزب . . ؟ او بلفظ ادق : هل يعد توفّر « الرؤية الحزبية » سمة لازمة لكل نضال ناجح ضد الامبريالية والتخلف . . ؟ كانت هذه المشكلة هي احدى المشاكل الهامة التي عالجها « ريجي دوبريه » في دراسته « ثورة في الثورة » . ولا شك ان دلالتها انما تمثل الكثير بالنسبة للعمل النضالي المسلح ضد الامبريالية في آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية ، كما انها تمثل الكثير ايضا بالنسبة لتجارب البناء الاجتماعي في هذه القارات .

## - ثورة في الثورة -

كان كتاب « ثورة في الثورة » خلاصة ناضجة لمجموعة مناقشات ومعايشات طويلة قام بها المؤلف مع القيادات الثورية في اميركا اللاتينية ، والكتاب بالاضافة الى دراستين اخريين لدوبريه عن « استراتيجية الثورة في اميركا اللاتينية » و « الكاستروية المسيرة العظمية لاميركا اللاتينية » يمثل مجموع الاعمال التي قام بها المؤلف الفرنسي ، استاذ الفلسفة المنتدب بجامعة هافانا، قبل ان تحكّم عليه السلطات البوليفية بالسجن ثلاثين عاما ، بتهم ملفقة متعددة ، كالمشاركة في العمل المسلح ، والقيام بالدعوة والتنظير لحرب العصابات ، ونقل الرسائل من كاسترو الى جيفارا .

ورغم الحكم على دوبريه بالسجن الا ان قضيتته الشخصية لم تكن ابدا محور اهتمامه ، بل ظلت الدلالة العملية للثورة التي قدم عنها دراساته الثلاث اهم لديه من اي غبن شخصي يتعرض له ، لذلك نراه يكتب ، « بدلا من ان تكون « قضية دوبريه » مرآة للضمائر الطيبة الخجولة ، او مورد رزق لتجار العواطف الاسبوعيين ، يجب استخدامها لتوعية الرأي العام قليلا حول مشاكل اميركا العامة ، مشاكل الكفاح المسلح ، والفاشية الاميركية الجديدة » .

مع الطبقات التي انشئت أصلاً من أجل تصفيتها .

### - المنظور الطبقي -

وعلى النقيض من هذا النضال الزائف للمعترضين، يكون التقاء العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين ، في إطار العمل المسلح ، تجسيدا ملموسا لمقيدة واحدة ، سرعان ما تبلورها اشتباكات السلاح ضد العدو الواحد . وفي أتون هذا اللقاء يتم تكوين الحزب الطليعي ، الذي لن يكون في رأي دوبريه مختلفا عن الحزب المؤسس قبل بدء العمل العسكري أصلا ، لذلك فلا يجب أن نقلل من الوزن السياسي لزعماء العصابات المسلحة ، ولا أن نفترض ضرورة ازدواجية القيادة ، فنوزع المسؤولية بين السياسيين والعسكريين ، حتى لا يتوفر مناخ الانتهازية بين الفريق الأول ، بينما يسود التحجر بين الفريق الثاني . ولا شك ان اختيار دوبريه لهذا الطريق ، الخاص ببلدان أميركا اللاتينية ، والبلدان التي تشابهها في الخصائص لهو اختيار منطقي ، فما دمنا لا نملك القدرة على اختيار « حزب طليعي » و « جيش طليعي » فعلينا بالنضال أن نوفر الظروف الملائمة لامتلاك هذه القدرة . لذلك فان دوبريه ينتهي الى ان « العمل العصياني هو اليوم العمل السياسي رقم ١ » .

### - اختلافات -

تختلف النتائج التي توصل إليها دوبريه عن نتائج الجنرال جيباب ، الذي يشرح العلاقة بين التكوينات العسكرية وبين الحزب في كراسته عن « حرب الشعب وجيش الشعب » . فيقرر ان : « الحزب هو الذي أنشأ جيش فيتنام الشعبي ولم يكف منذ انشائه عن تدعيمه وتثقيفه ، ولقد كان الجيش دائما وسيظل تحت « قيادة الحزب » التي استطاعت هي وحدها أن تجعل منه جيشا ثوريا ، جيشا شعبيا حقيقيا ، ومنذ انشاء الجيش وخلال تطوره ، تحددت قيادة الحزب في المجال التنظيمي ، وكان للجيش دائما مسؤولوه السياسيون ، وفسي الوحدات يتحمل القادة العسكريون والسياسيون مسؤولياتهم تحت قيادة لجنة الحزب في المستوى التنظيمي المناسب » ومع هذا فان ماو فسي دراسته عن « استراتيجية الحرب الثورية » يؤكد ان « لقوانين الحرب في كل دولة أو أمة خصائصها المميزة ، ولا يمكن أن تنقل بصورة ميكانيكية ايضا » . مع ملاحظة - وهذا قول ماو - ضرورة الاستفادة من تجارب الآخرين .

وظروف العمل الثوري ، تختلف في أميركا اللاتينية عنها في اسيا ، فالعمل الحزبي في القارة الجنوبية لم يترسخ بقدر كاف ، لانه لا توجد حدود مشتركة مع دول صديقة قوية ، يمكن الاعتماد عليها أمدا . يكفي لترسيخ القواعد الحزبية وجعلها نواة جيش ثوري ، فالامبريالية تواصل امتصاصها ، وبرامج الاستنزاف ومدارس

الثوري العلمي الذي اتخذه كل من الحزب الشيوعي الكوبي والحزب الشيوعي الفنزويلي في رفض كل انحياز لاحد الفريقين المتنازعين .

### - صنع الثورة -

ان التناقض بين الكادحين وبين الامبريالية فسي أميركا اللاتينية ، كما في اسيا وافريقيا ، هو التناقض الاساسي وكل ما عداه ثانوي ، لذلك فان اعلان الحرب على الامبريالية ، ومباشرة هذه الحرب فور اعلانها ، سينفذ الثوار من مغبة الوقوع ابتداء من برائن المؤسسات الحزبية المحترفة .

ويستشهد دوبريه هنا بملاحظة لينين القائلة « حتى تعرفوا بيم يفكر الاشتراكيون الديمقراطيون ، أنظروا الى ايديهم وليس الى افواههم » . واذا ما كان هناك لقاء حقيقي بين الثوار الحقيقيين فان « هذا اللقاء هو - بكل بساطة - عقلاني ، وفي وضع تاريخي معين يمكن ان توجد ألف طريقة للتحدث عن الثورة ، ولكن هناك توافقا ضروريا بين كل أولئك الذين صمموا على صنعها » .

ودوبريه يرفض السعي لوظيفة « طليعة » قبل مواجهة الامبريالية بالافعال ، لا بالايقال . لكن جعل العمل العسكري ، لا العمل السياسي ، نقطة البداية في الثورة ، لا يعني الفصل بين ما هو عسكري وما هو سياسي ، أو تفضيل الاول على الثاني ، لانه ابتداء من العمل العسكري الذي هو أصلا ذو جوهر سياسي يتم خلق وتدميم الجهاز السياسي .

ويرسم دوبريه صورة لاذعة للمنظمات الثورية المحترفة « فالمنظمة الثورية الجديدة تظهر على المسرح وتطمح للحياة الشرعية ، ثم الى مشاركة فن الحياة السياسية الطبيعية لوقت معين ، لكي تتماسك وتبني اسمها ، وتهيء بذلك شروط الكفاح المسلح ، ولكن ها هي شيئا فشيئا منهكة ملتصقة بكل طارئ من طوارئ هذه الحياة السياسية العامة التي ستصبح الافق المعتاد لنشاطها ، انها تستقطب بعض الملاكات ، بعض المناضلين ، وتعقد مؤتمرها الاول ، وتصدر صحيفة بالرونوتيب ونشرات ، ثم تأتي المجالس السنوية المئة والاجتماعات الالف و « الاحتكاكات الدولية الاولى » وارسال المندوبين الى الخارج ، لانه من الواجب حضور عدة مؤتمرات والبقاء في حالة تمثيل دائم في عدة منظمات أخرى ، واقامة العلاقات العامة ، والميزان يبقى ايجابيا باستمرار ، العاملون يعملون ، والمطبعة تدور ، والمندوبون يسافرون ، والعلاقات الدولية تنمو ، والقادة يفرقون في العمل ، باختصار الآلة تدور ، لقد أنفق على هذه الآلة كثيرا ، فيجب الاهتمام بها ، ان المنظمة تقوى » .

وتنتهي المنظمة بتحليل دوبريه الى تأجيل الكفاح المسلح لمدة أشهر أو لعدة سنوات أو الى الابد ، بينما تعمل على تجميد التناقضات القائمة والبقاء في حالة ود

التدريب على مقاومة « العصيان » لا تزال تقوى وتندعم ، حتى لا تتكرر محنة كوبا ، بل ان الامبريالية تقوم بتدريس تعاليم غيفارا عن « حرب الانصار » مع شروح تفصيلية خاصة بكيفية مقاومة هذه التعاليم وابطال فاعليتها .

وهكذا فرض التحدي الامبريالي على الثوار اللاتينيين ، ضرورة البدء من الثورة المسلحة حتى وان كانت البنى الحزبية ، عاجزة ، هشة ، متصارعة ، أو حتى منعدمة .

لكن بلا شك ان بناء « الحزب الطليعي » كان هدفا مضمرا أثناء النضال المسلح ، كما ان هذا النضال قد أحرز ما أحرز من نجاح بفضل الرؤية الطبقية الواضحة .

وهنا نتذكر ملاحظة ماو القائلة بأنه يجب « رسم

هذين الخطين الفاصلين ، الخط الذي يفصل بين ما هو ثوري وما هو معاد للثورة ، والخط الذي يفصل بين النجاحات والنقائص » .

وانه « اذا عزمنا على شن هجوم قبل أن تعي الجماهير ضرورة الهجوم كان ذلك مفامرة » .

وبهذا تخلص الى ان « البيان الحزبي » وما يوفره من رؤية ثورية واضحة ضد الامبريالية في الخارج . . . والرجعية في الداخل ، أو بحد أدنى « الرؤية الطبقية » المشكلة لفكر حزب في طريقه الى التكوين والتصلب أثناء نيران المعارك . . . هي الشروط التي لا غنى عنها من أجل خوض صراع منتصر ضد الامبريالية وعملائها .

طلعت همام

القاهرة

تأليف  
روجيه غارودي  
ترجمة نزيه الحكيم

# ماركسيّة القرن العشرين

يقول روجيه غارودي ، مؤلف هذا الكتاب الخثير ، وهو احد ابرز فلاسفة الماركسيّة اليوم ، ما يلي :

« ان الجزائري ذا الثقافة الاسلامية يستطيع ان يصل الى الاشتراكية العلمية بدءا من منطلقات اخرى غير سبيل هيفل أو ريكاردو أو سان سيمون . فلقد كانت له هو الاخر اشتراكيته الطوباوية ممثلة في حركة القرامطة ، وكان له ميراثه العقلي والجدلي ممثلا في ابن رشد ، وكان لديه مبشر بالمادية التاريخية في شخص ابن خلدون . وهو على هذا التراث يستطيع ان يقيم اشتراكيته العلمية » .

ويقول الاستاذ نزيه الحكيم مترجم الكتاب :

« ان هذا النص يأتي بالجواب الحاسم حلا للجدل اللفظي الذي احتدم طويلا بين مثقفينا التقدميين حول الاشتراكية التي تأخذ بها بعض اقطارنا ، وهل تكون « اشتراكية عريضة » ام « طريقا عربيا الى الاشتراكية » . والحق ان المؤلف قد طرح بمشأله هذا قضية القومية العربية وعنصر تراث القيم الإنسانية فيها كأنه اثر مسلم به من وجهة النظر الماركسية . . . وهذا يدل على استعداد لقبول اشتراكية « علمية » غير ماركسية ، وهو تطور يعتبر كسبا ضخما حقا ، ويمكن ان يكون كسبا عربيا ، لاننا اذا وعيناه ، ونحن في بداية مسعانا الجديد للخروج من القاع ، فلن نجد أنفسنا مكرهين على الاختيار الوحيد بين نار الاستغلال الراسمالي باسم حرية الفرد ، وبين صقيع الظفبان الفتوي باسم مصلحة الجماعة . بل ستكون مسؤولية المثقفين العرب بالذات - في هذه المرحلة ، وتأسيسا محتوما على المنطلق القومي الوجدوي الذي لا بديل له من التجزئة ولا من الامية - ان يفتحوا ابواب الحاضر العربي ، الفاسد الهواء ، على الهواء النقي الذي يحمل بوادره عطاء الفكر العالمي غير المتزمت تحت شعار الحوار » .

ونعتقد ان هذا يكفي للإشارة الى أهمية كتاب « ماركسية القرن العشرين » الذي تقدمه اليوم ، والذي اثار ضجة كبيرة لدى صدورده منذ أشهر قليلة بين المفكرين الماركسيين وغير الماركسيين ، اذ يعتبر خطوة رائدة هامة على طريق الحوار المفتوح ، طريق تحرير البشر من « الايدولوجيات » الشمولية التي تزعم تفسير الانسان والطبيعة تفسيرا احاديا نهائيا يفرض غيبية جديدة باسم العلم .

وسيقرا المثقف العربي في الكتاب فصولا تحليلية عميقة تتناول موقف الماركسية « الجديدة » من مبدأ المعتدية ، والاخلاق ، والدين ، والفن . وسيجد المثقف العربي فيه ، بلا شك ، مادة غنية للدرس والتفكير .

صدر حديثا

الثن ٤٥٠ ق.ل